الإبادة الجماعية بحق كورد العراق في ضوء الدين الإسلامي

أ.م.د.مهدي قادر أحمد

(مُلَخَّصُ البَحث)

الإبادة الجماعية بعينها هي ما تعرض له الشعب الكوردي في جنوب كوردستان (كوردستان – العراق) من التهجير القسري والقتل الجماعي للمدنيين، وعمليات الأنفال، وقصف المدن والقرى بالأسلحة الكيماوية وتدميرها من النظام البعثي العراقي في ثمانينيات القرن العشرين.

هذه الجرائم هي إبادة جماعية نظمتها الدولة فيجب توثيقها ثم تقديمها للمحاكم الدولية، ومحاكمة مرتكبيها ولو غيابيا ،وتعويض المتضررين بحسب القانون و الشريعة الإسلامية.

تمنع الشريعة الإسلامية وقوع هذه الجرائم ضد الإنسان، وذلك عبر تقديس الحياة، وتحريم القتل، وتكريم الإنسان مهما كانت قوميته ودينه، و تجريم قطع الأشجار، وتدمير الآبار، وتهديم البيوت، وقتل المدنيين من النساء والشيوخ و الولدان. و تعويض المجنى عليه فردا أو جماعة من الجاني حكومة كانت أو فصيلة أو وارثوها وهي الحكومة العراقية الحالية.

كؤمةلَكوذي بريتي بة لةوةي كة بةستر طةلي كورد دا هاتوة لة باشوري كوردستان (كوردستاني عيراق)، لة رِاطواستني زؤرةملىَ و كوشتني بة كؤمةلَي خةلَكاني سظيل وهةلَمةتة وةحشيةطةريةكاني ئةنفال و بؤمبارانكردني شار و لادىَ كان بة ضةكي كيمايي وويَرانكردنيان لة لايةن سةراني رِذيَمي بةعسي عيراقي لة هةشتاكاني سةدةي بيستةم دا.

ئةم تاوانكاريانة بريتي لة خودي لةناوبردني بة كؤمةلَ و جينؤسايديَكي رِيَكخراو لة لايةن دةولَةتةوة، ثيَوستة بة ديكؤميَنت بكريَت و ثاشان ثيَشكةش بكريَت بة دادطاي دادي نيَودةولَةتي و سةراني ئةو تاوانانة دادطايي بكريَن ئةطةر بة غيبابيش بيت ثاش مردنيان، ثاشان قةرةبووكردنةوةي ئةوانةي زيانيان بةركةوتوة بة طويَرةي دين و ياسا.

شةريعةتي ثيرؤزي ئيسلام رِيَطري كردوة لةوةي ئةم تاوانانة دذي مرؤظ ئةنجام بدريَت، ئةميش لة رِيَطةي برِيارةكاني: ثيَرؤزكردني طيان و قةدةغةكردني كوشتن و رِيَزليَناني مرؤظ جا سةر بة هةر نةتةوة و ئاينيَك بيَت، و بةتاوان داناني برِينةوةي دار و ويَرانكردني كانياو و رِوخاندني خانوو و مالَ و كوشتني هاولَاتي بيَتاوان لة ذن و ثير و منالَان. ثاشان قةرةبووكردنةوةي زيانليَكةوتوو جا تاك بيَت يان كؤمةلَ و نةتةوة لة لايةن تاوانكارةوة جا حكومةت بيت يان طروث يان لة لايةن ميراتطرةكةيةوة كة حكومةتي ئيَستاي عيَراقة.

مقدمة

في أثناء مئة سنة منصرمة تعرض الشعب الكوردي في جنوب كوردستان لأنواع القتل الجماعي ،والتهجير القسري ،وتدمير القرى والمدن على يد الأنظمة الحاكمة في العراق، ولاسيما على يد النظام البعثي ابان الحرب العراقية الإيرانية في نهاية ثمانينيات القرن الماضي، مثل: عمليات الأنفال ،وقصف المدن والقرى بالأسلحة الكيمياوية و المحظورة، التي راح ضحيتها ما يبلغ ربع مليون نسمة، ما عدا تهجير ما يقرب من نصف مليون نسمة إلى المجمعات القسرية.

انا اكتب هذه الأسطر و كأنني أشاهد هذه الجرائم في التلفاز؛ لأنني كشاهد عيان أتذكر جيدا حملات الأنفال الأولى في منطقتي ،وقصف قريتي بالأسلحة الكيمياوية في شهر شباط ١٩٨٨ م. ما قام به النظام البعثي من الجرائم شمل أيضا المعارضين من العرب السنة والشيعة العراقيين بأكثر من دافع، ولكن هذا البحث يتناول الجرائم بحق الكورد، وللقصة بقية مع جرائم الدولة ضد العراقيين. هذا البحث يتكون من مبحثين:

المبحث الأول: الإبادة الجماعية بحق الكورد في العراق.

المبحث الثاني: موقف الدين الإسلامي من الإبادة الجماعية و كيفية الحد منها.

تحت كل مبحث مطالب وفروع عسى أن نوفق في بيان مظلومية الكورد و طلب الحق.

المبحث الأول: الإبادة الجماعية بحق الكورد في العراق.

في هذا المبحث نعرف الإبادة الجماعية من منظور القانون الدولي والاتفاقيات الأخرى، ثم نركز على أهم الجرائم التي ارتكبت بحق الكورد التي يصدق عليها تعريف الإبادة الجماعية وأركانها من منظور القانون الدولي ونستدل عليها بالوثائق القانونية. من هذه الجرائم: ترحيل الكورد الفيليين، وعمليات الأنفال، واستعمال الأسلحة الكيمياوية وجرائم أخرى متفرقة.

المطلب الأول: تعريف الإبادة الجماعية.

عرفت الإبادة الجماعية بتعريفات كثيرة، كل تعريف يوضح جانبا من أركان الإبادة الجماعية. فيما يأتي نختار ثلاثة تعاريف، ثم نصنف تحتها الجرائم التي ارتكبت بحق الشعب الكوردي، و نعرف أخيرا هل هي إبادة جماعية أم إجراءات قانونية لصالح أمن الدولة؟؟!!.

١- تعريف الإبادة الجماعية: إبادة الجنس البشري، وتتمثل في ارتكاب أفعال لتدمَير مجموعة وطنية أو عرقية أو دينية معينة عن طريق القتل وإحداث أذى جسماني أو عقلي

جسيم لأعضاء المجموعة، أو اتخاذ إجراءات تمنع تناسلها، أو نقل أطفال مجوعة لمجموعة أخرى.[١]

٢-نصت (اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها) في تعريفها الآتي:" أن الإبادة الجماعية تعني أي فعل من الأفعال المرتكبة بقصد القضاء كليا أو جزئيا على جماعة وطنية عرقية عنصرية أو دينية." .[٢]

٣- وفقا لنص المادة السادسة من (النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية) فإن "الإبادة الجماعية تعني: أي فعل من الأفعال التالية يرتكب بقصد إهلاك جماعة: قومية أو إثنية أو عرقية أو دينية بصفتها تلك إهلاكا كليا أو جزئيا :

١-قتل أعضاء وأفراد الجماعة

٢-إلحاق ضرر جسدي أو عقلي جسيم بأفراد الجماعة.

ج- إخضاع الجماعة عمداً لأحوال معيشية يقصد بها إهلاكها الفعلي كليا أو جزئيا.

د- فرض تدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة.

هـ- نقل أطفال الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى.

و- جرائم الإبادة الجماعية تدخل ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية.[٣]

وفقا لهذا التعريف نجد أركان الإبادة الجماعية تتحقق بحق الكورد وهي: القتل الجماعي، والتصفية الجسدية، وإسكان مجموعات كبيرة في مجمعات قسرية من دون إيجاد عمل أو مصدر رزق، ما أجبر الأسرة الكوردية أن لا تفكر في الإنجاب، كما تم نقل أطفالهم الى مدارس خاصة عربية، وتربيتهم تربية بعثية، وحفظ شعاراتها، وتقمص زعمائها، والتخلي عن رموز الكورد القومية، و قد نجد شهود عيان بين القراء الكورد والمشاركين في هذا المؤتمر.

والملاحظ أن نظام روما يحمي جماعات معينة بشكل واضح ومميز: وهي القومية، والاثنية، والعرقية، والدينية، ويقصد بالجماعات القومية : مجموعة الأفراد الذين تتحدد هويتهم المشتركة بجنسية بلد معُين أو بأصل قومي مشترك. أما الجماعة الاثنية، فهي مجموعة من الأفراد تتحدد هويتهم بتقاليد ثقافية مشَتركة أو لغة مشتركةً أو تراث مشترك. أما الجماعة العرقية، فتعني مجموعة من الأفراد تتحدد هويتهم بالصفات الجسدية. وأخيرا الجماعة الدينية، ويقصد بها: مجموعة من الأفراد تتحدد هويتهم بعقيدة دينية مشتركة أو معتقدات أو مذاهب أو ممارسات أو شعائر مشتركة .[٤]

بحسب هذا التعريف الشعب الكوردي هم جماعة معينة يجمعهم رابط القومية و الاثنية والعرق، وأكثرية الشعب الكوردي مسلمون سنة، شافعي المذهب أشعري العقيدة. الهوية

الدينية تجعلهم مع غالبية الشعب العراقي مجموعة واحدة من الأمة الإسلامية، يجب أن تكون هذه الميزة مانعا للظلم و العدوان، وتجمعهم رابطة الأخوة الايمانية، فليس إلا هوية للوحدة الوطنية ولكن مع الأسف لم تشفع لهم هويتهم الدينية و المذهبية و خدمتهم الكبيرة للإسلام والمسلمين منذ عهد صلاح الدين الأيوبي.

المطلب الثاني: القضية الكوردية في العراق

أولا: أصل الكورد: الكورد أحفاد الميديين، شعب (هندو- أوروبي). ومن ثم هم أعرق الشعوب في المنطقة بأصلهم الميدي (مملكة ميديا ٦٧٨ ق م – ٥٥٠ ق م) ،وهم ورثة القبائل الكوردية العريقة مثل: (كوتي، و لولو ،و كاشي، و سوباري، و ميتاني) قبائل جبال زاكروس و حوض اورومية و بلاد ميزوبوتاميا .[٥]

لغتهم مستقلة تنتمي إلى أسرة اللغات الهندو- أوروبية، لهم كل المميزات ما يجعلهم امة مستقلة بتقاليدها، و زيها، و تراثها الشعبي والديني، كما اختصوا بموطنهم المعروف ببلاد الأكراد وامارتهم الخاصة. بعد تدمير مملكة ميديا على يد كورش الأخميني عام ٥٥٠ ق.م، لم يخضع الكورد في تاريخهم الطويل للقوات الأجنبية على الرغم من احتلال مناطقهم من الرومانيين و الساسانيين، الى أن دخل الكورد طواعية في الإسلام في عام ١٨ الهجري.[٦]

تمتع الكورد في أثناء العهود الإسلامية بنوع من الاستقلال ،وشارك في بناء الحضارة الإسلامية، والدفاع عن مقدساتها، ظهر رجال مثل أبي مسلم الخراساني في تأسيس الخلافة العباسية، و صلاح الدين الأيوبي في تحرير القدس و صد الحملات الصليبية، ناهيك عن العلماء في اختصاصات العلوم الاسلامية كافة .[٧]

في العهد العثماني الأخير أسست إمارات عديدة مثل: إمارة بابان، وسوران، وبهدينان، وبوتان، وهكاري حتى بلغت (١٦) إمارة معترف بها عند السلاطين العثمانية .[٨] هذا لا يعني أن الكورد لم يتعرضوا للظلم ،والتهميش ،و العقوبة ،و استعمالهم في الخلافات بين الإمبراطوريتين الصفوية والعثمانية وحل الخلاف على أراضيها على حساب الكورد. بعد توزيع أراضي الدولة العثمانية، وتأسيس عشرات الدول على أنقاضها لم يكن من نصيب الكورد إلا الوعود الكاذبة من بريطانيا العظمى و توزيع الكورد بموجب اتفاقية سايكس – بيكو على العراق وسوريا وايران وتركيا .[٩] يتجاوز عدد الكورد في العالم (٥٠ خمسين) مليون نسمة و هم أكبر شعب بلا دولة.

ثانيا: الكورد في العراق : يتجاوز عدد الكورد حاليا خمسة ملايين، ويتمتعون بإقليم شبه مستقل في العراق الاتحادي الجديد بعد ٢٠٠٣م. غالبية الكورد في العراق مسلمون من أهل السنة شافعي المذهب أشعري العقيدة، إلا الكورد الفيلية فإنهم على مذهب الشيعة، كما توجد

من الكورد طوائف وأديان أخرى مثل: اليزيدية ،والكاكائية. المجتمع الكردي مجتمع متعدد الطوائف و متسامح مع غيره ذو قلوب صافية فدفع الثمن غاليا نتيجة ذلك.

بعد ظهور النزعة القومية وتأسيس دول قومية في المنطقة حرم منها الكورد، فقاموا بتأسيس جمعيات سياسية وحركات ثورية واحتجاجات مدنية وجهود دبلوماسية في سبيل الحصول على حقوقهم المشروعة، ولكن مع الأسف كل هذه النداءات لم تكن لها آذان صاغية من المجتمع الدولي والدول الحاكمة على أراضي الكورد. فظلم الكورد في جميع المعاهدات والقرارات الدولية.

قام الإنكليز بتأسيس دولة العراق (١٩٢١) وجلبوا لعرشها ملوكا من الخارج. دمج الكورد جبرا في الدولة العراقية الحديثة، حاول الملك محمود الحفيد في تأسيس دولة كوردية مستقلة. تواصلت الجهود السياسية والدبلوماسية عن طريق الشخصيات والنواب الكوردية في حل القضية الكوردية بعدالة، تم تأسيس أحزاب كثيرة في سبيل تحقيق هذه الغاية. مثل: حزب هيوا (١٩٣٩-١٩٤٦م)، و البارتي (١٩٤٦م) (برئاسة ملا مصطفى البارزاني و أستاذ إبراهيم احمد) واستمر النضال السياسي و الثوري في العهد الملكي ولكن كلها باءت بالفشل.[١٠]

إضطهاد المكونات القومية والاثنية والدينية كان يمثل أحد أركان السلطة في العراق.

شارك الكورد في ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨) وابتهج بها طمعا في حل قضيته على يد حكومة عبدالكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣م). بعد قيام الثورة بأسبوعين أعلن الدستور المؤقت المادة الثامنة منه: (يعد العرب والكورد شركاء في هذا الوطن ويقر هذا الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية).[١١] لكن بعد سنتين عاد التوتر بين البارزاني وقاسم واندلعت الثورة الكوردية في (١١ أيلول ١٩٦١) ،و هاجم طيران الحكومة ومدافعها مواقع عدة في كوردستان راح ضحيته عشرات القتلى والجرحى من البيشمركة والمدنيين. تعاقبت الحكومات في العراق وكانت العلاقات بين الكورد والدولة بين الكر والفر، بين المفاوضات والمناوشات، لم يحسم لصالح طرف معين.[١٢]

في الحقبة البعثية الأولى برئاسة أحمد حسن البكر (١٩٦٨-١٩٧٩) كانت العلاقات بين المفاوضات و المناورات، حتى وصل الطرفان إلى عقد اتفاقية في(١١ آذار ١٩٧٠)، وإقرار الحكم الذاتي لكوردستان العراق. لكن بسبب ارتكاب الأخطاء من الطرفين وعدم الجدية من طرف البعثيين دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ من طرف الدولة و اعتراض كوردي على خطواتها. بسطت الدولة نفوذها على المناطق الكوردية، وقابلت الاعتراضات بقوة، مما أدى إلى اندلاع الحرب مرة أخرى على مناطق نفوذ الثوار الكوردية، وقصف المدن الحدودية

مثل :قلعة دزة، وحلبجة في ٢٤ و ٢٦ نيسان ١٩٧٤. وراح ضحيته مئات من الطلاب والمدنيين. كما بدأ التعريب، والتبعيث، والترحيل في هذه المدة بشكل مكثف، وانهارت الثورة الكوردية اثر اتفاقية الجزائر (١٩٧٥) بين صدام حسين و شاه ايران.[١٣]

في الحقبة البعثية الثانية برئاسة صدام حسين (١٩٧٩ -١٩٩١) دخلت العلاقات بين الطرفين إلى أسوأ حقباتها. قصد النظام البعثي تصفية الشعب الكوردي بشتى الوسائل من الترحيل، وغصب الأموال والبيوت والأراضي الزراعية، والقتل الجماعي، والسجن، ومنع الكورد من الدخول في الوظيفة العامة، ونفي من شككوا في ولائهم، وفصل آخرين، وملاحقة كل من لم ينتم الى البعث أو رفض أن يكون وقودا للحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨). في هذه المدة تم تدمير عدد كبير من القرى الحدودية بهدف إنشاء (حزام امن) بمحاذاة الحدود مع كل من إيران وتركيا مع استمرار ثلاثية التعريب والتبعيث، والترحيل[١٤] ارتكبت جرائم ضد الإنسانية ضد عوائل البيشمركة والمعارضين و كل من يرفع رأسه، بل مارست الدولة سياسة الأرض المحروقة ،واستغل الحرب العراقية الإيرانية و التأييد الدولي لها ضد ايران، حتى قررت الدولة إبادة الشعب الكوردي و هي جرائم إبادة جماعية بحسب القانون الدولي. نحن نشير إلى أهم أنواع الجرائم التي ينطبق عليها اسم الإبادة الجماعية. وهي ترحيل الكورد الفيلية ،و جينوساييد البارزانيين، وعمليات الأنفال ،و فاجعة حلبجة.

المطلب الثاني: ترحيل الكورد الفيليين.

الفيليون هم من القبائل الكوردية العريقة لغتهم لرية، يرجع اصلهم الى العيلاميين أو الكاشيين وهما القبيلتان اللتان انحدر منهما الكورد في جبال زاكروس بجانب اللولوين والكوتيين. بعد تأسيس الدولة العراقية ،و تثبيت الحدود وقع بعض العشائر الفيلية ضمن المملكة العراقية في الوقت الذي بقيت عشائر بكاملها ضمن المملكة الايرانية. هذا الانقسام له تاريخ طويل يعود إلى اتفاقيات تثبيت الحدود بين الإمبراطوريتين الصفوية والعثمانية .[١٥]

نسب الفيليون إلى أصول إيرانية من العنصريين العرب، كما شطبهم ادمونز في كتابه(كرد وترك وعرب) من أصلهم الكوردي. ومن ثم اتبعت الحكومات العراقية سياسة الترحيل بوصفهم أجانب وعدم ولائهم للوطن، وهو غير صحيح تاريخيا و قوميا. سكن الفيليون هذه المناطق بمئات السنين قبل الميلاد ،إذ أسس آباؤهم الكاشيون مملكتهم في أكد وآشور. واعترف الزعيم عبدالكريم قاسم عند استقباله الوفد الفيلي المهنئين للثورة في ١٩٥٨/١٠/١٤. قائلا " إن المناطق التي من الضفاف الشرقية لنهر دجلة هي موطن الكورد الفيليين.[١٦]."

نعم كان مسكنهم هناك منذ مئات السنين، المحافظات الحدودية في العراق وايران، مثلا في الحدود الإيرانية سكنوا كرمانشاه، وعيلام، وخزستان، وقصر شيرين، اما في العراق فسكنوا مدينة واسط ،وبغداد، و ميسان، و غالبيتهم في محافظة ديالى في مناطق جلولاء، وخانقين، ومندلي. واشتغلوا داخل المدن بالتجارة وفي القرى بالعمل الحر، والزراعة وغيرها من مصادر العيش الضنك. قدر أعدادهم في عام ١٩٤٧م بـ(٣٠ ألف نسمة) بنسبة ٠.٦% من سكان العراق آنذاك بحسب أرقام وزارة الشؤون الاجتماعية. كان يسكن حوالي ١٤ ألف نسمة منهم في المدن في حين يسكن ١٦ ألف نسمة منهم في الريف .[١٧] تعرض الكورد الفيلية للإبادة الجماعية من محتلين قدماء مثل: سنحاريب وإسكندر المقدوني، الى الإبادة الجماعية التي قام بها زعيما البعث أحمد حسن البكر، وصدام حسين.

في العراق الملكي والجمهوري تعرض الفيليون للإبادة الجماعية لعاملين: العامل القومي لكونهم كوردا، والعامل الطائفي لكونهم من المذهب الشيعي. فحرموا من الجنسية العراقية، وفي حال تجنيسهم أعطيت لهم بشروط كثيرة حتى حرم منها بعضهم، وسحبت منهم متى أرادت الدولة.

- شهد عام ١٩٤١ أول حملة تهجير رسمية من الحكومة، إذ تم تهجير قسري لعشرات العوائل الفيلية إلى إيران بهدف التغيير الديموغرافي وهو جريمة ضد الإنسانية.
- كما تم ترحيل أكثر من (٧٠,٠٠٠) عائلة كردية فيلية إلى إيران الشاه في شتاء ١٩٧٠-١٩٧١، بحجة دعمهم لليسار العراقي وعدم إيمانهم بمبادئ البعث والثورة.
- جمعت النزعة العنصرية البعثية عشرات التجار الفيليين في قاعة الشعب في بغداد يوم ١٩٨٠/٤/٧ بحجة منحهم إجازات استيراد جديدة، احتفاء بميلاد حزب البعث... وكان أكثر من اربعمائة تاجر من الدرجة الأولى من الكرد الفيلية، ... طه الجزراوي أمر بإخراج التجار من الكرد الفيليين من الباب الخلفي لقاعة الاجتماع، وتوجهت بهم الباصات وعلى الفور الى الحدود العراقية الإيرانية لطردهم من وطنهم العراق وهم لا يحملون إلا هوياتهم ومفاتيح سياراتهم. لقد تم إسقاط الجنسية العراقية عنهم.
- كما تم إسقاط الجنسية عن نصف مليون كردي فيلي آخر، بموجب قرار صادر عن مجلس قيادة الثورة رقم (٦٦٦) المؤرخ في ١٩٨٠/٥/٧ والمنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية رقم (٢٧٧٦). وتم تجريدهم من جميع الممتلكات والبيوت، والوثائق الثبوتية، وشركاتهم، ومتاجرهم العامرة ،ومصانعهم المنتجة .[١٨]
- كما تم حجز مئات الآلاف من العوائل الكردية الفيلية في بغداد، والكوت، وخانقين، والحي، وبدرة، وجصان، والبصرة، وديالى، وميسان، والكوفة، والناصرية في أثناء

اشهر، وزج بهم في سجون النظام العنصري في الكاظمية، والفضيلية، وصدر القناة، وأبي غريب، والحبانية، وسجون ومعتقلات محافظات واسط، وبابل، والبصرة، وديالى، والناصرية، وميسان، والكوفة، والحي، وخانقين، ومندلي، وغيرها من معتقلات البعث آنذاك .[١٩]

بعد سقوط النظام البعثي و تشكيل الدولة العراقية الاتحادية عدت (المحكمة الجنائية العراقية العليا) ما تعرض له الكورد الفيليون إبادة جماعية (جينوسايد)، وصدر القرار التاريخي يوم (٢٠١٠/١١/٢٩). على الرغم من ذلك لم ترد الحقوق للكورد الفيليين الذين اقتلعوا من أرض وطنهم ظلما، كما لم يتم محو آثار التعسف الذي لحق بهم؛ بسبب العنصرية، ولا تزال بعض بيوتهم ومحلاتهم محتلة. هناك عشرات جرائم أخرى بحقهم مثل: إجراء التجارب الكيمياوية في مختبرات الأمن العامة في أثناء المدة ما بين (١٩٨٣-١٩٨٦) وقتلهم وقتل المئات منهم ودفنهم في مقابر جماعية عثر عليها في العراق.[٢٠]

المطلب الثالث: جينوسايد البارزانيين

البارزانيون عشيرة من عشائر الكورد، يسكنون منطقة خاصة من ناحية بارزان في قضاء ميركة سور التابعة لمحافظة اربيل. هذه العشيرة تمتعت بخصوصيات عشائرية ودينية وتراثية. اشتهروا بروحهم الوطني ومقاومة الظلم والاستبداد ضد الترك و الإنكليز و حكام العراق.

قام البارزانيون بثورات عديدة، أهمها: ثورة بارزان الأولى بقيادة الشيخ أحمد البارزاني ١٩٣١، و ثورة بارزان الثانية بقيادة ملا مصطفى البارزاني ١٩٤٣م. ثم دخل البارزانييون في الحركة التحررية الكوردية منذ تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني بقيادة ملا مصطفى البارزاني منذ ١٩٤٦. نضال البارزانيين كان جزءا من سياسة البارتي بين المفاوضات مع المركز والمشاركة في الدفاع المسلح، ولكن هذا لايعني ان البارزانيين كلهم كانوا بيشمركة أو منخرطين في السياسة. ولكن بهذه النظرة عاملتهم الدولة العراقية ولاسيما في المراحل التي توترت العلاقات بين الطرفين وأدت إلى التصادم. يجب قانونيا ودينيا أن لا تصل هذه النزاعات إلى أبناء العشيرة المحايدين العزل، و لا يؤخذوا بجريرة غيرهم او جماعة من عشيرتهم ولو كان ملا مصطفى البارزاني و مقاتليه. لكن بعد انهيار الثورة في ١٩٧٥ تم تسفير (١٠٠٠) ألف عائلة بارزانية الى الديوانية.

إثر سيطرة القوات الإيرانية على بلدة (حاج عمران) في (١٩٨٣/٧/٢٠)، واتهام الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالتعاون معهم " قامت الأجهزة القمعية لنظام البعث في (٣٠ تموز ١٩٨٣) أي بعد عشرة أيام باعتقال (٨٠٠٠ ثمانية آلاف من البارزانيين الذكور من

مجمعات (ديانا، وحرير، وقوشتبه، وبحركه) من محيط مدينة أربيل و إخفاء آثارهم، وبحسب تعبير صدام حسين في لقاء تلفزيوني : فإنهم نالوا عقابهم الصارم و ذهبوا الى الجحيم". معناه انهم اعدموا، و دفنوا في مقابر جماعية في صحراء السماوة قرب الحدود السعودية. بل وصلت يد البعث – بأمر مباشر من صدام حسين – الى عبيد الله و لقمان ابني ملا مصطفى البارزاني و بعض أفراد أسرته و مساعديه في بغداد، وإعدامهم بعد عشرة أيام. قتل أبناء عشيرة بالكامل و الإقامة الجبرية على أولادهم ونسائهم في مجمعات سكنية بلا خدمات، و مجاري ،و شوارع ،و ضمانات معيشية هي إبادة جماعية..[٢١]

المطلب الثالث: عمليات الأنفال (الإبادة الجماعية)

عمليات الأنفال هي أكبر العمليات العسكرية وأخطرها التي قام بها الجيش العراقي في عام ١٩٨٨ لقمع الشعب الكوردي و إبادتهم. أصدر صدام حسين قرار (١٦٠) بتاريخ ١٩٨٧/٣/٢٩ بموجبه عين ابن عمه المرعب (علي حسن المجيد) مسؤولا أعلى في المنطقة الشمالية، وخوله جميع صلاحيات مجلس قيادة الثورة. كما أعطي صلاحية إصدار الأوامر على جميع رؤساء الوحدات الإدارية و قوة الأمن الداخلي والاستخبارات العسكرية وقيادات الجيش وتكون واجبة التنفيذ فورا.

وأصدر علي حسن المجيد كتابا برقم(٤٠٠٨) في تاريخ ١٩٨٧/٦/٢٠ معنونا إلى قيادات الفيالق الأول والثاني والخامس ونص على كيفية التعامل مع القرى المحظورة أمنيا، وجاء في الفقرة (٣) من الكتاب المذكور بتحريم السفر من وإلى القرى المحظورة أمنيا، وتحريم الاستثمار الزراعي أو الصناعي أو الحيواني فيها ابتداء من (١٩٨٧/٦/٢٢) صعودا، وتعد هذه القرى منطقة عمليات محرمة يكون الرمي فيها حرا غير مقيد بأية تعليمات. وان تعد قيادات الفيالق ضربات خاصة بين فترة وأخرى بالمدفعية و السمتيات والطائرات لقتل أكبر عدد ممكن ممن يتواجد ضمن هذه المحرمات وفي أثناء جميع الأوقات ليلا ونهارا، وأن يحجز من يلقى القبض عليه لتواجده ضمن قرى هذه المنطقة حيث تحقق معه الأجهزة الأمنية، ينفذ حكم الإعدام بمن هو عمره بين (١٥ –٧٠) سنة بعد الاستفادة من معلوماته.

إعداد هذه الخطة كان موجها بالأساس ضد الكورد و إبادتهم في عقر دارهم، لم يكن له أية علاقة بالحرب العراقية الإيرانية، التي كانت على وشك الانتهاء. وشملت جميع الشمالية (السليمانية، وأربيل، ودهوك). مناطق تبعد مئات الكيلومترات عن الحدود العراقية الإيرانية بل شملت مناطق كردية هي أقرب ما تكون إلى العاصمة بغداد منها إلى المنطقة الشمالية، إذ طالت تلك الحملات قرى تابعة لقضاء(خورماتو)، و(سليمانبك)، وكفري القريبة من

بغداد.[٢٢] عمليات الأنفال بدأت في شباط من العام(١٩٨٨) وانتهت في أيلول من العام نفسه، ونفذت في ثمان مراحل على النحو الآتي:[٢٣]

المرحلة الأولى من الإبادة الجماعية: ١٩٨٨/٢/٢٣ إلى ١٩٨٨/٣/١٨.

ابتدأت عملية الأنفال الأولى في منطقة (شاربازير و دولي جافايه تى) والقرى التي كانت يتواجد فيها المقر الرئيس للاتحاد الوطني الكوردستاني، وجلال طالباني، والقيادات الأخرى للحزب في قرى (سةرطةلو، وبةرطةلو ،وياخسةمر ،و طاثيلون، و طةرةديَ ، ومالومة و.....). كنت شاهد عيان لكل ماجرى من القصف الكيمياوي و الجوي و المدفعي والهجوم البري، و أتذكر جيدا – و كنت في العاشرة من عمري– دموية تلك الأيام، لولا الثلوج المكثفة والطقس والغيوم، والدفاع المستميت من البشمركة ،و الفرار نحو حدود إيران مانجا منا أحد، على الرغم من ذلك هناك مؤنفلون من اقربائنا.

المرحلة الثانية من الإبادة الجماعية: ١٩٨٨/٣/٢٢ إلى ١٩٨٨/٤/١.

شملت مناطق قرداغ، وبازيان، و دربنديخان. ففي اليوم الأول من الهجوم ضربت بالسلاح الكيماوي قرية سيوسينان الآهلة بالسكان مما أدى الى استشهاد ٦٦ مدنيا، بينهم ٣٠ من الأطفال وجرح عشرات آخرين. ودمرت في هذه الحملة حوالي (٨٠) قرية ،وتم أسر حوالي(٥٦٣٧) شخصا من مختلف الأعمار ولا يعلم مصيرهم لحد الآن.

المرحلة الثالثة من الإبادة الجماعية: ١٩٨٨/٤/٧ الى ١٩٨٨/٤/٢٠.

تعد هذه العملية من أكبر العمليات إبادة وتدميرا،إذ شملت منطقة كرميان، وكلار، وباونور، وكفري، ودووز، وسنكاو، وقادر كرم. دمرت أكثر من (٥٠٠) قرية وسويت بالأرض تماما، وتم اسر أكثر من ثلاثين ألف من النساء والأطفال والرجال، و دفنوا في المقابر الجماعية.

المرحلة الرابعة من الإبادة الجماعية: ١٩٨٨/٥/٣ الى ١٩٨٨/٥/١٥.

شملت حدود سهل (زيي بجوك) أي منطقة كويه، وطق طق ،وآغجلر، وناوشوان واستعمل فيها الأسلحة الكيمياوية في قرية (كوب تةبة) واستشهد ٣٠٠ شخص من القرية ،و تم أسر ثم إبادة (٧٢٠١) شخص مع تدمير (٦٧) قرية .

ثمة وثائق تبرهن على مشاركة صدام حسين ومشاركة رئيس أركان جيشه نزار الخزرجي في قيادة هذه العمليات من الأنفال. تقول الوثيقة المؤرخة في ٢٣ حزيران ١٩٨٨ بأن رئيس الجمهورية يمنح موافقته بالمباشرة في عمليات تدمير مكتب قيادة المخربين في حوض باليسان وفي منطقة سماقولي". والوثيقة الثانية تنص:" باتصال شخصي مرقم(١٤٦٧١)و مؤرخ في ١٦ تموز ١٩٨٨ لمكتب رئاسة الجمهورية والمنقول إلينا عبر

رئيس أركان الجيش باتصال شخصي مرقم(٨٦١) ومؤرخ في ٢٠ تموز أعلمونا بأن عمليات الأنفال يجب أن تنتهي بسرعة بعد الأعياد الدينية". في ٢٩ تموز ١٩٨٨ قرر مساعد رئيس أركان الجيش طبقا للأوامر الصادرة تأجيل عمليات الأنفال للمرحلة السادسة والسابعة.

المرحلة الخامسة و السادسة والسابعة من الجينوسايد: ٥/١٥ الى ١٩٨٨/٨/٢٦.

التي حاصرت المناطق التابعة لـ (شقلاوة ،و خليفان ،و رواندز) في محافظة أربيل و استعمل فيها العتاد الخاص – الكيمياوي –ولاسيما في قرية باليسان ،واستشهد ٢٢٧ شخصا. وقف الحرب بين العراق و ايران فلم يوقف الإبادة بل ساعد الدولة في حشد أكبر للقوات العسكرية، وتدمير أكبر بالمنطقة، وإبادة الأهالي، ودفنهم في المقابر الجماعية.

المرحلة الثامنة والأخيرة من الإبادة الجماعية: (٨/٢٦ الى ١٩٨٨/٩/٦.

التي شملت منطقة بادينان، وآميدي، وآكري، وزاخو، وشيخان، ودهوك، واستعمل فيها الغازات السامة بإشراف من صدام حسين و صلاحياته الحصرية.

في كل مرحلة من هذه المراحل تم تدمير مظاهر الحياة من البيوت، والمساجد، والطرقات، وطمر الآبار، و قطع الأشجار، وقتل الأبقار والأغنام، و نهب الممتلكات. واستعمل فيها جميع أنواع الأسلحة المحرمة دولياً.

جرائم الأنفال تسببت في تدمير ٤٠٠٠ قرية، واستشهاد (١٨٢٠٠٠) الف انسان كوردي، الأنفال، ووفقاً للمقاييس الدولية للجرائم تدخل في إطار جرائم الجينوسايد، وهذه الحقيقة تمت الإشارة إليها بوضوح في تقرير المنظمات الدولية لمراقبة حقوق الانسان، وتحرك ملف الأنفال في المحكمة الجنائية العراقية العليا، وفي يوم ٢٠٠٦/٨/٢١ ألقيت أول مرافعة عن الأنفال في بغداد، وقد أصدرت المحكمة قرارها الحاسم حول ملف الأنفال، وتم وفقاً لذلك تعريف جرائم الأنفال بجرائم الإبادة الجماعية (الجينوسايد) .[٢٤]

أصدرت منظمة (هيومن رايتس ووج) كتابا بعنوان (جريمة العراق في الإبادة الجماعية – حملة الأنفال ضد الكرد) وعدت فيه الانفال و العمليات العسكرية التي جرت جينوسايد وإبادة جماعية بكل المقاييس الدولية. الأنفال على الرغم من أنه تشويه لاسم سورة من القرآن الكريم، وتحريف معنى الأنفال التي هي الأموال المتروكة في ساحة القتال.

المطلب الرابع: استعمال الأسلحة الكيمياوية (فاجعة حلبجة)

تقع مدينة حلبجة شرق مدينة السليمانية بالقرب من الحدود الإيرانية، بعد ١٩٨٣ وجدت حلبجة نفسها في قلب المعارك بين الجيش العراقي والإيراني. على الرغم من ذلك تعرضت حلبجة لحملات تهجير وقتل قبل قصفها بالكيمياوي. اثر مظاهرات سلمية من الشباب و

طلاب الثانوية في ١٢/٥/ ١٩٨٧ أمام قائممقامية المدينة، فكان رد النظام البعثي عنيفا جدا، واطلق الجيش النار على المتظاهرين ،وأوقع جرحى و قتلى بالعشرات. وحينما قام آباء الجرحى وأمهاتهم بزيارة أولادهم في المستشفى أوقفتهم السلطات: ٢٧ أو ٢٨ من بينهم اختفوا إلى الأبد ،واعدموا ،و دفنوا في أماكن مجهولة. قامت الطائرات بقصف عشوائي لبعض أحياء المدينة. ثم قام الجيش العراقي بمسح محلة كاني عاشقان المؤلفة من حوالي ٢٥٠ دارا عن الوجود كليا.[٢٥]

هكذا تعامل النظام الدكتاتوري مع أية حركة جماهيرية سواء أكانت سياسية أم مدنية. بل لجأ إلى أفتك الأسلحة وهي :الغازات السامة والقنابل المحرمة. تعود النظام استعمالها، ضد اعدائه من ايران في الحرب، وضد مواطنيه الكورد ولاسيما في عمليات الانفال، استعمل جميع أنواع الأسلحة المحرمة دولياً ولا سيما السلاح الكيمياوي من نوع الخردل، والسيانيد، وغاز الأعصاب ،والفسفور. هناك مئات الوثائق التي عثرت عليها بعد سقوط النظام في ٢٠٠٣، تثبت استعمال العتاد الخاص – الكيمياوي- و قدمت هذه الوثائق إلى المحكمة العليا لمحاكمة رؤوس النظام حول عمليات الأنفال ،ونشر في كتاب (قرار محكمة الأنفال) مع مقاطع صوتية لعلي حسن المجيد وغيره.[٢٦]

قامت القوات الجوية العراقية في تاريخ ١٦ آذار ١٩٨٨ بقصف مدينة حلبجة وما حولها بالغازات السامة مما أدى إلى وقوع فاجعة إنسانية كبيرة، هزت ضمير العالم. يقول اللواء الركن وفيق السامرائي في كتابه (حطام البوابة الشرقية صفحة ١٠٤): قامت (٥٠) طائرة من القوة الجوية العراقية والتي تحمل كل منها أربعة قنابل كيمياوية، زنة كل منها (٥٠٠ كغم) بضرب مدينة حلبجة، وهذا يعني إن الطائرات العراقية صبت ٢٠٠ طن من الغازات السامة القاتلة على المدينة.[٢٧]

واستمر القصف الى مساء ذلك اليوم وفي يومي ١٧ و١٨ من آذار. شمل القصف القرى المحيطة فضلا عن قوافل الناس الفارين من المدينة نحو الحدود الإيرانية في مختلف المحاور. شاهد العالم ما حدث في حلبجة ،وتم تصوير الفاجعة من الصحافة العالمية.

إن فاجعة حلبجة كانت جريمة حرب و إبادة جماعية من الدولة ضد شعبها، إذ استشهد أكثر من (٥٠٠٠) خمسة آلاف من النساء والرجال والأطفال، وأبيدت عوائل بالكامل، فضلاً عن وقوع أضعاف هذا العدد من الجرحى المصابين بالحروق والجرحى لايزالون يعانون من أثر غازات الخردل ،والسيانيد، وغاز الأعصاب و يموت سنويا عشرات منهم.[٢٨] بعد سقوط النظام أيقظ العالم المتفرج لإدانة الفاجعة و تعريفها بوصفها عملية إبادة جماعية، ومحاكمة مرتكبيها و مساعديهم.

في ٢٣ /١١/ ٢٠٠٥ حكمت محكمة هولندية بالسجن ١٥ عاما على (فرانس فان) رجل الأعمال الذي اشترى المواد الكيميائية من السوق العالمية وقام ببيعها لصدام حسين.

وقضت المحكمة الهولندية أن صدام ارتكب جريمة الإبادة الجماعية ضد سكان حلبجة، وكانت هذه المرة الأولى التي تصف محكمة هجوم حلبجة بوصفه فعلا من أفعال الإبادة الجماعية.

أما المحكمة العراقية الخاصة فوجهت اتهامات لصدام حسين وابن عمه علي حسن المجيد الذي قاد قوات الجيش العراقي في كردستان في تلك المدة بتهمة جرائم ضد الإنسانية المتصلة بالأحداث التي وقعت في حلبجة. وقدّم المدعي العام العراقي أكثر من (٥٠٠) وثيقة من الجرائم في أثناء نظام صدام حسين عند محاكمته، وكان منها مذكرة عام ١٩٨٧ من المخابرات العسكرية للحصول على إذن من مكتب الرئيس باستعمال غاز الخردل ،وغاز السارين ضد الأكراد، ووثيقة ثانية ردا على ذلك أن صدام أمر المخابرات العسكرية دراسة إمكانية ضربة مفاجئة باستعمال هذه الأسلحة ضد القوات الإيرانية والكردية، ومذكرة داخلية كتبتها المخابرات العسكرية أنها قد حصلت على موافقة من مكتب رئاسة الجمهورية لضربة باستعمال الذخيرة الخاصة، وشددت على أن لا يتم إطلاقها من دون إبلاغ صدام. بعد إدانته بتدبير مجزرة حلبجة، حُكم على علي حسن المجيد بالإعدام شنقا بمحكمة عراقية في يناير/كانون الثاني ٢٠١٠. وحكم أولاً على المجيد بالإعدام شنقا في عام ٢٠٠٧ لدوره في حملة عسكرية عام ١٩٨٨ ضد الأكراد، والتي يطلق عليها اسم "عملية الأنفال".[٢٩]

المبحث الثاني: موقف الدين الإسلامي من الإبادة الجماعية و كيفية الحد منها.

في المبحث السابق تمت الإشارة إلى أهم جرائم الإبادة الجماعية بحق الكورد في العراق على يد النظام البعثي. سوغ البعث كل هذه الجرائم بالقانون، والدين، والغطاء الدولي، وحزام الأمان. فيما يأتي موقف الدين الإسلامي من هذه الجرائم التي ارتكبت بحق الكورد.

المطلب الأول: موقف الإسلام من التمييز العنصري والقومي.

من أحد الأسباب التي دفعت النظام البعثي العنصري الى ارتكاب جرائم إبادة جماعية بحق الكورد هي التمييز القومي والعنصري. وذلك عن طريق رفع شعار العروبة و عروبية العراق و عد القوميات و الأقليات الأخرى ضيوفا في العراق.

عالج الإسلام هذه النزعة العنصرية بإقرار الأخوة الإيمانية إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ الحجرات: ١٠. ثم إقرار الأخوة الإنسانية، وعد اختلاف الشعوب والقبائل من آيات الله واثراء التجربة البشرية عن طريق التعارف. يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ الحجرات: ١٣. الناس سواسية عند الله ولا فضل إلا بالتقوى وهو سلعة آخروية فليس مفخرة دنيوية. هدم الإسلام العنصرية كلها من الفخر بالعرق، واللون، والنسب، والجمال، والمال، قال تعالى: يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ۝ الشعراء: ٨٨ – ٨٩. وقال الرسول(ص) :(أَيُّهَا النَّاسُ! كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، .... إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٣٠] . كما نهى عن الفخر بالنسب والقوم:(لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، وَإِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ عِنْدَ اللهِ أَهْوَنَ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخُرْءَ بِفِيهِ)[٣١] . وحذر من قاتل من أجل العصبية المنتنة، وَقَالَ(ص):(مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ.... وَكَفَى بِالْمُسْلِمِ إِثْمًا أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)).[٣٢]

المطلب الثاني: حكم التعريب و الترحيل و غصب الأموال.

من الجرائم التي تعرض لها الكورد هي حملات التعريب في المناطق الكوردية، فوقع على قسمين: إسكان العرب في البيوت و القرى و البلدات الكوردية و ترحيل مالكها. فلا نقصد هذا القسم هنا كما اصطلح عليه عرف الناس، بل نقصد تغيير القومية من الكوردية الى العربية. اختلاف اللغة والقومية آية من آيات الله تعالى، فهو إقرار الهي فلا يجوز لأحد أن يجبر غيره على تغيير قوميته أو تعديلها كما عرف في العراق الصدامي. إن الله تعالى لم يسمح بتغيير الدين اجبارا فكيف يسمح بتغيير القومية التي جعلها آية من آياته. وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ الروم:.٢٢.

أجبر عشرات العوائل الكوردية بتقديم طلباتهم مع توقيعاتهم الشخصية إلى دوائر الأحوال المدنية لتعديل القومية ترغيبا في لقمة العيش أو ترهيبا من التهجير والترحيل.

حرم الإسلام ترحيل الأقليات سواء أكانت دينية أم عرقية، والملاحظ لآيات القرآن الكريم يشعر بتحريم إخراج الناس من بيوتهم ،واجبارهم على الهجرة، و ترك أوطانهم. الترحيل كان دأب الطغاة والظالمين، المرحَل المهاجر دائما كان الأنبياء وأتباعهم. أجبر إبراهيم الخليل وابن أخيه لوط (عليهما السلام) الى ترك العراق فرارا بالدين ،إذ قال : ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ العنكبوت: ٢٦. كما أُخرِجَ النبيُ واتباعُه من

مكة وسموا مهاجرين ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ الحج:٤٠ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ الحشر: ٨.

من المعلوم من الدين بالضرورة أنه لا يجوز غصب مال أحد أو أكله يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ النساء: ٢٩ ولما خان يهود بنو نضير أجلاهم النبي (ص) الى حيث يشاؤون مع جميع أموالهم و ممتلكاتهم من دون أن يمسهم بسوء .[٣٣]

المطلب الثالث: قانون الحرب في الإسلام (تحريم الإبادة الجماعية و قتل المدنيين).

الحرب هي قتال العدو بالسلاح الكافي لرد العدوان وليس لإبادة المعتدي فما بالك بالمدنيين العزل في قرية فوق جبال كوردستان. شرعت عند الفقهاء لدفع العدوان، ورفع الظلم، وإغاثة المستضعفين، مع رعاية آداب الحرب وأحكامها العليا ؛بهدف الحفاظ على الأرواح والأوطان. الحرب في الإسلام بأهدافها وضوابطها وأخلاقياتها نموذج فريد يدل على إنسانية الإسلام وكرامة بني آدم. يجب مراعاتها في كل الظروف، أنا أسميها الوصايا العشر في الحرب

١ -لا يبدأون بالقتال: على الرغم من مشروعيته عند الضرورة جعل الله القتال أمرا مكروها كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ البقرة ٢١٦. ونهى النبي(ص) عن تمنى الحرب: (لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ)[٣٤]؛ لذلك لا يبدأ المسلمون بالقتال أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ التوبة: ١٣. ولا يهاجمون عدوهم بغتة بل ينذرونهم و يدعونهم إلى الخيارات الثلاثة.

٢- يحرم الاعتداء على الناس:وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ البقرة: ١٩٠. ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ البقرة: ١٩٤..

٣ -إنقاذ المدنيين المظلومين والمنكوبين والمستضعفين: قال تعالى: وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ " النساء: ٧٥

٤- الغاية لا تبرر الوسيلة: النصر على العدو يتحقق بأخلاقيات الإسلام؛ فإن الغاية لا تبرر الوسيلة؛ بل يجب أن يعلوا منطق (الحق) على منطق (القوة)، وأن يبحث عن العدالة بدل الظلم، وعن الرحمة بدل الزحمة، ويرحم عزيز قوم إذا ذل بدل إهانته.

٥ -لا يُقاتَل إلا المقاتلة: حرم الإسلام مقاتلة المدنيين وقتلهم، الحرب على المدنيين العزل اعتداء وظلم، وهو ما حرمه الله تعالى، كذلك حرم مقاتلة الأطفال والنساء والشيوخ والرهبان، وقد ورد عن النبي(ص) أنه: (نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ) .[٣٥]

وقال بعض الفقهاء الإمام مالك و الأوزاعي:(لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان وتحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم)[٣٦] . وقد أكد النبي(ص) على هذه القيم النبيلة حيث قال: (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلاَ طِفْلاً وَلاَ صَغِيرًا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .[٣٧]

لست أفهم أي قانون أو أخلاق بعثي أجاز قتل عشرات الآلاف من الكورد الأبرياء العزل و إبادتهم في عقر دارهم. لو كان عند قادة الجيش العراقي و رؤسائهم أية ثقافة دينية و ذرة وجدان لما تجرؤوا على قتل رضيع في حضن أمه، ناهيك عن قتل المئات و دفنهم أحياء تحت تراب الصحراء، لا شك مالك يوم الدين عند وضعه ميزان القسط يلاحقهم بعدله وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ " التكوير: ٨ – ٩.

٦ -أسرى الحرب: الأسير هو العدو الذي يقع بيد المسلمين أو يسلم نفسه. أوجب الاسلام احترام الأسير وعدم قتله، بل يجب إطعامه وحفظ حياته حتى يتبين مصيره. نص الفقهاء على إطعام الأسير، وسقايته فلا يجوز تعذيبهوَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ الإنسان: ٨. والأسرى في عهد الرسول كانوا يحبسون في المسجد أو يوزعون على أفراد المسلمين، وهناك حوادث مشهورة في كتب السنة ما يدل على ذلك. قال النبي: (ص) استوصوا بالأسرى خيرا .[٣٨]

يقرر القرآن الكريم أن مصير الأسرى هو اطلاق سراحهم إما فداء أي مقابل مال، او من دون مال،فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ ۞ محمد: ٤. فلا يجوز قطعا قتل الأسرى، بل يجب حبسهم في معتقلات ملائمة وكسوتهم الى محاكمتهم بعدالة. والرسول (عليه الصلاة والسلام) أوصى أصحابه بإكرام أسرى بدر، وكانوا يقدمونهم على أنفسهم في الطعام. كما لا يجوز إكراه الأسير إذا لم يبد المعلومات عن دولته أو جيشه. قال الإمام مالك عندما سئل عن عذاب الأسير إن رجي أن يدل على عورة العدو؟ فقال ما سمعت بذلك.[٣٩]

كما يجب معالجة الجرحى والمرضى بعد أن وضعت الحرب أوزارها ؛ لأن الإسلام نهى عن قتل غير المقاتلين ، والجرحى والمرضى يتحقق فيهم هذا الوصف فلا يجوز قتلهم ولا الإجهاز عليهم في رأي الدكتور وهبة الزحيلي .[٤٠] وقال رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: "أَلا، لا يُجْهَزَنَّ عَلَى جَرِيحٍ، وَلا يُتْبَعَنَّ مُدْبِرٌ، وَلا يُقْتَلَنَّ أَسِيرٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ) .[٤١] قارنوا بين تعاليم الإسلام وتعاليم البعث في معاملة اسرى الحرب؟ فما بالك بنساء وأطفال أبيدوا من دون ذنب إلا كونهم كوردا.

٧- تحريم تشويه الجثث: ومن الأخلاقيات الحربية في الإسلام هو الحفاظ على كرامة بني آدم حيا وميتا، فلا تجوز إهانة الجثث ،و تشويه القتلى والتمثيل بهم من قطع الأذن والأنف، و إخراج القلب وغيره. فكان(ص) يقول لقادة الجيوش:(اغْزُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَمْثُلُوا).[٤٢]

٨- دفن القتلى: من آثار القتال القتلى من الطرفين، كان في الماضي السماح لجنود الطرفين أخذ القتلى والجرحى و ردهم الى صفوفهم. ولكن اذا هرب العدو أو ترك قتلاه فيجب دفنهم، بل غسلهم وقال الإمام الشافعي: لا بأس يغسل المسلم قرابته من المشركين ودفنهم ونعرف أن النبي (ص) دفن قتلى البدر في قليب بدر بعد فرار قريش وتركهم.[٤٣]

٩- حفظ البيئة: ومن أخلاقيات الإسلام في الحرب تحريم الفساد في الأرض بتدمير البيئة من حيث الهدم، وقطع الأشجار، وتجفيف الأنهار ودفن العيون والآبار، واهلاك المزارع وهدم المنازل وتلويث المياه، وقد قال تعالى: وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ البقرة: ٢٠٥، وقال تأكيدا على هذه القيم العظيمة: وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ الأعراف: ٥٦.

١٠- تحريم السلب والنهب في البلاد: ومن أخلاقيات الحرب في الإسلام المحافظة على أموال الناس وممتلكاتهم؛ لذلك حرم الإسلام السلب والنهب والغلول، وهذا من هدي النبي(ص) في الغزوات، إذ كان ينهي مغازيه عن النهبة والمثلة وقال: (من انتهب نهبة فليس منا) .(٤٤)

كما أمر الله بمجموعة أخرى من الفضائل والأحكام والآداب مع العدو عند الظفر به وإعطاء الأمان. وقد أمر الله تعالى الالتزام بالعهود التي تعقد معهموَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ۝ الإسراء: ٣٤ . وإجابة دعوتهم للإسلام ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ الأنفال: ٦١. والالتزام به مع التزامهم كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ التوبة:٧. وحماية الأماكن المقدسة ودور العبادات، قال تعالى: ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الحج: ٤٠.

المطلب الرابع: تحريم استعمال أسلحة الدمار الشامل.

ثبت أنه لا يجوز إلا قتال المقاتلة، كما لا يجوز الإجهاض على الجرحى و المرضى في ساحة القتال. هذا الأمر الرباني يلزم تحريم الأسلحة التي من شأنها قتل غير المقاتلة. ذهب العلماء الى أنه يحرم استعمال الأسلحة الفتاكة التي لا تفرق بين المقاتلين والعزّل وتقتلهم وتفتك بالمسالمين قبل المحاربين، مثل: استعمال الأسلحة النووية ،والبيولوجية، والكيماوية التي تهلك ولا تذر، و تدمر الأخضر واليابس، ولا تدع بريئا ولا مسالما، بل ولا حيوانا ولا طائرا ، ويترك آثاره لأيام وشهور بل سنين ودهورا. وهذا هو عين الفساد الذي نهى الله تعالى عنه، كما قال تعالى:وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ البقرة: ٢٠٥.

حرم الإسلام قتل الانسان البريء، هذا يعني تحريم الأسلحة الكيمياوية و مثيلاتها، و من قتل نفسا بريئا فهو كقتل جميع الناسمِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا

ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ المائدة: ٣٢. قتل أي إنسان لم يكن لقصاص أو رد فساد فهو بمثابة قتل الجنس البشري أجمع، كما أن انقاذ إنسان من الموت فهو كانقاذ الناس جميعا. شدد الإسلام على أنه لا يجوز قتل الانسان الا في حالتين : رد العدوان و القصاص. هذا القرار الرباني يحرم كليا استعمال الغازات القاتلة التي استعملها الجيش العراقي ضد الشعب الكوردي في عمليات الانفال و فاجعة حلبجة. هكذا الإسلام يحد من الحرب الشامل على الأخضر واليابس. ينهى القرآن الكريم عن قتل النفس البريئة سواء أكانت مسلمة أم كافرة: ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ الأنعام: ١٥١. كما نهى الفقهاء عن تسميم المياه في معسكر المشركين أو وضع السم في طعامهم وشرابهم. في حين ذهب بعض الفقهاء إلى جواز ذلك كمعاملة بالمثل.(٤٥)

المطلب الخامس: الأنفال بين الإسلام والبعث.

رأينا في المبحث السابق أن الانفال عند البعث هي المدنيون الكورد العزل الذين تم أسرهم في بيوتهم و قراهم ثم نقلوهم الى معسكرات و معتقلات كبيرة، ثم فصل الرجال والنساء، وقتلهم بالرصاص، ودفنهم أحياء بالجرافات في صحاري جنوب العراق.

من الدناءة استعمال اسم سورة من القرآن الكريم لهذه الجرائم الوحشية. في حين الأنفال في الإسلام هي: الغنائم، والأموال، والأسلحة المتروكة أو المسيطرة عليها في ساحة المعركة. الإنسان لا يُنفل بل يؤسر ويسمى أسيرا، وحمكه الفداء أو المن كما سبقنا. وقد جاء ذكر الأنفال في قوله تبارك وتعالى:يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ۝ الأنفال: ١.

عندما نتابع اللغة وتعاريف العلماء تتضح الحقيقة أكثر، وتثبت الجريمة المدبرة ضد دين الله و عباد الله.

أولا: الأنفال لغة: مشتقة من نفل، ويقول صاحب معجم لسان العرب: « النَّفَلُ، بالتحريك: الغَنِيمة والهِبَة..، والجمع أَنْفالٌ ونِفالٌ....وَنَفَّلَ الإمامُ الجُنْدَ: جَعَلَ لَهُم ما غَنِمُوا. والنَّافِلَةُ: الغَنِيمة.. وصلاةُ التطوع نافلة لأنها زِيادةُ أَجْرٍ لَهُم على ما كُتِبَ لهم من ثَوابِ ما فُرِضَ عَليهم..، وكُلُّ عَطِيَّةٍ تَبَرَّعَ بها مُعْطِيها من صدقةٍ أو عمل خير فهي نافلة).(٤٦)

ثانيا: الأنفال اصطلاحا: لعلماء التفسير أقوال عدة في معنى كلمة الأنفال، وهي:

١- إن الأنفال هي الغنائم كلها التي غَنِمَها المسلمون يوم بدر.

٢- الأنفال هي أنفال السرايا، أي ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة على قَسَمِهِم مع بقية الجيش.

٣- إن الأنفال هي كل ما ناله وأصابه المسلمون من المشركين بغير قتال، من متاع، أو دواب، أو عِدَّة، أو أسلحة، أو ما شابه ذلك، وهو ما يسمى عند العلماء بـ «الفيء».

٤- إن النفل هو الخمس الذي جعله الله لأهل الخُمُس الذي ورد ذكره[٤٧] فى قوله تعالى: ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ الأنفال: ٤١ والقول الأول هو الذي عليه عامة أهل التفسير، فالأنفال هي الغنائم التي وقع نزاعٌ بين المسلمين على قسمتها، فبين الله تعالى في هذه الآية أن قسمة هذه الأنفال راجعة لله ولرسوله. فالرسول(صلى الله عليه وسلم) يُقَسِّم هذه الغنائم بأمر من الله تعالى على وفق ما تقتضيه المصلحة العامة.[٤٨]

الخاتمة

مما سبق من هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة نتائج وهي على النحو الآتي:

١- إن الكورد شعب عريق و أصيل في المنطقة سكن جبال زاكروس و بلاد الميديا قبل مئات السنين، لهم لغة مستقلة، ووطن مستقل، وآداب و تراث خاص بهم. وهو من الشعب الوحيد الذي دخل الإسلام طواعية في سنة ١٨ هجرية وما بعدها.

٢- تم تقسيم الكورد و أراضيهم على دول الجوار (العراق، و ايران ،و تركيا، وسوريا) بموجب اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م. من دون أخذ مشورة الكورد الذي تطلع دائما إلى الاستقلال والحرية على أراضيه من دون طمع في أراض الآخرين.

٣- ناضل الكورد كثيرا في سبيل تحقيق حقوقه المشروعة داخل الدول التي أجبر على اللحاق بها، هذا النضال كان مدنيا في غالب الأحوال ،و اضطر الى الدفاع عن نفسه وأراضيه بالسلاح ،و ضحى بآلاف من أبنائه الأوفياء في سبيل الحرية والاستقلال.

٤- تعرض الشعب الكوردي لأنواع الظلم والاضطهاد من الدول التي اغتصب وطنها.

٥- تعرض الكورد في العراق لحملات إبادة جماعية في عهود الحكومات المتعاقبة في العراق عموما وفي عهد الحكومة البعثية (١٩٦٨ -١٩٩١) خصوصا. تعرض الكورد في جنوب كوردستان للتعريب، والترحيل القسري، وفرض الإقامة في مجمعات سكنية قسرية، وإجبارهم على قبول حياة في ظروف معيشية صعبة.

٦- أكبر حملات إبادة جماعية هي ما تعرض لها الكورد في مدة الحرب العراقية الإيرانية، منها :تهجير الكورد الفيليين الى ايران على دفعتين كبيرتين. ثم عملية انفال البارزانيين، وعمليات الأنفال الكبرى التي راح ضحيتها ١٨٢٠٠٠ الف مواطن كوردي عزل، ثم فاجعة حلبجة التي استشهد فيها أكثر من خمسة آلاف كوردي، وإصابة عشرات.

٧- وضع الدين الإسلامي الحنيف حدا لهذه الجرائم والإبادة الجماعية، بتشريع أحكام وآداب فاضلة وعادلة في أثناء الحرب، من حفظ الأرواح ،و عدم قتل المدنيين ،و تحريم استعمال أسلحة الدمار الشامل ،و معاملة الأسرى بالرحمة ،و حفظ حقوق الإنسان كما أرادها الله تعالى.

والله الموفق

أهم المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم و كتب السنة وشروحها و بعض كتب التفسير.
٢. استخدام أسلحة الدمار الشامل في الفقه الإسلامي، د.أحمد محمد لطيف. بلا تاريخ.
٣. أصول القضية الكوردية، د.صلاح جمور، الترجمة من الفرنسية د. سعاد محمد خضر، مركز زين للتوثيق والدراسات، العراق، السليمانية، ط١/ ٢٠١٩م.
٤. انتهاكات النظام العراقي لحقوق الكرد الفيليين في العراق، جابر الجابري، اصدار منظمة حقوق الانسان للكرد الفيليين في العراق، فيينا، ١٩٩٣م.
٥. البارزاني والحركة التحررية الكوردية، مسعود بارزاني، ج ١ و ٢ . دار كاوا، بيروت ط ٢/ ١٩٩٧.
٦. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، محمد أمين زكي بك ط ٤، بلا ت.
٧. خولانةوة لة ناو بازنةدا، ديوي ناوةوةتي روداوةكاني كوردستاني عيراق ١٩٤-١٩٨٨، نةوشيروان مستةفا، خاك، ض ٢، ١٩٩٩.
٨. دراسات حول القضية الكورية ومستقبل العراق دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، ط٢/ ٢٠٠٤/٨٠.
٩. الشعب الكردي والسياسات الدولية في القرن العشرين، كوردستان العراق نموذجا. د.هادي علي، دار روشنبير – السليمانية، ٢٠٠٨م.
١٠. عالم الكرد المرعب، تحقيق و تأليف الحاكم طه بابان، الكتاب الأول، ط٢، حكومة إقليم كوردستان، وزارة الثقافة ، المديرية العامة للطباعة و النشر ، التسلسل (٤٢) ط٢، ٢٠٠٢.
١١. العراق... الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، حنا بطاطو، ج١/٦٠.
١٢. فاجعة حلبجة (كارةساتي كيميابارانى هةلةبجة) باللغة الكوردية، شوكت حاج مشير، ط١، ١٩٩٨.
١٣. القانون الدولي الإنساني، محمد فهاد الشلالدة، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة،**376. / 2005**
١٤. القانون الدولي الجنائي، أهم الجرائم الدولية، المحاكم الدولية الجنائية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠١/٣٦٠.
١٥. قرار محكمة الأنفال، تقديم القاضي محمد العريبي، اشراف واعداد الحقوقي بهزاد علي آدم ، من منشورات محافظة دهوك بالتعاون مع المديرية العامة لشؤون الشهداء والأنفال في محافظة دهوك. ط١، ٢٠١٤.
١٦. الكتاب الأسود لصدام حسين، اشراف كريس كوتشيرا، ترجمة من الفرنسية: خسرو بوتاني، دار ئاراس ط ١، ٢٠٠٧م/
١٧. الكورد الفيليون بين الماضي والحاضر، احمد ناصر الفيلي، بحث منشور على النت بنسخة **pdf** مكونة من ٢٣ صفحة. بدو تاريخ.
١٨. كورد و كوردستان والحركة القومية الكوردية، جلال طالباني، بيروت، ط٢، ١٩٧١.
١٩. كورد و كوردستان والحركة القومية الكوردية، جلال طالباني، بيروت، ط٢، .١٩٧١.
٢٠. كوردستان المهد الثاني للإنسانية (باللغة الكوردية)، حسن محمود حمه كريم، مشروع تيشك (٩٧)، مطبعة شفان، العراق، السليمانية، ط ١، ٢٠١٤م.

٢١. كوردستان أمام الفتوحات الإسلامية (باللغة الكوردية) حسن محمود حمه كريم. منشورات روشنبير، السليمانية ط٢، ٢٠٠٠م.
٢٢. كوردستان والأكراد، دراسة سياسية اقتصادية، د.عبدالرحمن قاسملو، بيروت بلا ت.
٢٣. لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكوردي في كوردستان العراق، د.كاظم حبيب، دار ئاراس، أربيل، العراق، ط ٢، ٢٠٠٥
٢٤. المسئولية عن ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، ايمن عبدالعزيز سلامة، دار العلوم، القاهرة، ٢٠٠٦
٢٥. ئةنفال و رةهةندة سوسيولؤجيةكان/ محمد رؤوف، وةزارةتي رؤشنبيري، ض ١، ٢٠٠٥.

الهوامش والتعليقات الختامية

١القانون الدولي الإنساني، محمد فهاد الشلالدة، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة،.376 / 2005
٢ المسئولية عن ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، ايمن عبدالعزيز سلامة، دار العلوم، القاهرة، ٤٢١/٢٠٠٦-٤٢٢.
٣القانون الدولي الجنائي، أهم الجرائم الدولية، المحاكم الدولية الجنائية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٣٦٠/٢٠٠١.
4 -Malcolm N. Shaw, International Law, Cambridge Low Price Editions, Fourth Edition, UK, 1997, P209. -
٥ينظر: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، محمد أمين زكي بك ط ٤، بلا ت، ١١٩/١. و أصول القضية الكوردية، د.صلاح جمور، الترجمة من الفرنسية د. سعاد محمد خضر، مركز زين للتوثيق والدراسات، العراق، السليمانية، ط١/ ٢٠١٩م./٢٣. وكوردستان المهد الثاني للإنسانية (باللغة الكوردية)، حسن محمود حمه كريم، مشروع تيشك (٩٧)، مطبعة شفان، العراق، السليمانية، ط ١، ٢٠١٤م. / ٣٥-٧٧.
٦ ينظر: كوردستان أمام الفتوحات الإسلامية (باللغة الكوردية) حسن محمود حمه كريم. منشورات روشنبير، السليمانية ط٢، ٢٠٠٠م /٢٠-وما بعدها.
٧ ينظر: تأريخ الكرد في العهود الإسلامية، د.أحمد محمود الخليل، دار الساقي، بيروت، ط ١، ٢٠١٣/ ١٦٣ و ١٩٢.
٨ ينظر: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ١٦٣/٢-١٧١. و أصول القضية الكوردية /٢٣-٢٥.
٩ينظر: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ١١٩. و كورد و كوردستان والحركة القومية الكوردية، جلال طالباني، بيروت، ط٢، ٢٣/١٩٧١-٢٤. و كوردستان والأكراد، دراسة سياسية اقتصادية، د.عبدالرحمن قاسملو، بيروت بلا ت/ ٤٠-٤١.
١٠ ينظر: لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكوردي في كوردستان العراق، د.كاظم حبيب، دار ئاراس، أربيل، العراق، ط ٢، ٢٠٠٥/ ١٠٢-١١٤.
١١ الشعب الكردي والسياسات الدولية في القرن العشرين، كوردستان العراق نموذجا. د.هادي علي، دار روشنبير – السليمانية، ٢٠٠٨م. /٢٨-٢٩.
١٢ ينظر: لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكوردي (مصدر سابق) /٢٨١-٢٩٥.
١٣ ينظر: لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكوردي (مصدر سابق) /٣٠٣-٣٠٦.
١٤ الشعب الكردي والسياسات الدولية في القرن العشرين، (مصدر سابق)/٨٣. و لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكوردي (مصدر سابق) /٣١١-٣١٣. و د. حامد محمود عيسى/٣٠٢.
١٥ينظر: الفيليون، نجم سلمان مهدي الفيلي، مراجعة: جرجيس فتح الله، دار الشمس، ستوكهولم، سويد، ٢٠٠١.
١٦ المصدر نفسه/ ٢٠.
١٧ينظر: الكورد الفيليون بين الماضي والحاضر، احمد ناصر الفيلي، بحث منشور على النت بنسخة pdf مكونة من ٢٣ صفحة. بدو تاريخ. والعراق... الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، حنا بطاطو، ج٦٠/١. و خلاصة تاريخ الكورد و كوردستان امين زكي بك/٧٩.
١٨ ينظر: لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكوردي (مصدر سابق) /٣١٥-٣٢٨. الكورد الفيليون (مصد سابق) /٩-١١
١٩ ينظر: انتهاكات النظام العراقي لحقوق الكرد الفيليين في العراق، جابر الجابري، اصدار منظمة حقوق الانسان للكرد الفيليين في العراق، فيينا، ١٩٩٣م.
٢٠مقال: ذكرى كارثة أنفال الكرد الفيليين عام ١٩٨٠. عادل مراد عضو المكتب السياسي للإتحاد الوطني الكردستاني المنشور على موقع التلفزيون الألماني: .DW . 10/4/2014

٢١ ينظر: البارزاني و الحركة التحررية الكوردية، مسعود بارزاني، ج ١و ٢ . دار كاوا، بيروت ط ٢/ ١٩٩٧. والكتاب الأسود لصدام حسين، اشراف كريس كوتشيرا، ترجمة من الفرنسية: خسرو بوتاني، دار ئاراس ط ١، ٢٠٠٧م/ ١٦٦-١٧٢. و سي سال خةبات و ولاتيكي ويران (١٩٦١-١٩٩٠). كرمانج طوندي / ١٢٧.

٢٢ ينظر: الكتاب الوثائقي : قرار محكمة الأنفال، تقديم القاضي محمد العريبي، اشراف واعداد الحقوقي بهزاد على آدم ، من منشورات محافظة دهوك بالتعاون مع المديرية العامة لشؤون الشهداء والأنفال في محافظة دهوك. ط١، ٢٠١٤/٣٥-٣٦.

٢٣وثقت كتب كثيرة عمليات الانفال و مراحلها. ينظر: قرار محكمة الأنفال (مصدر سابق)/٣٧-٣٩. و ئةنفال و رةهةندى سوسيولو جيةكان/ محمد رؤوف، وةزارةتى رؤشنبيرى، ض ١، ٢٠٠٥. والكتاب الأسود (مصدر سابق)/١٧٨-١٨٣.

٢٤ينظر: قرار محكمة الأنفال (مصدر سابق)/٣٧-٣٩. و ئةنفال و رةهةندة سوسيولؤجيةكان/ محمد رؤوف، وةزارةتي رؤشنبيري، ض ١، ٢٠٠٥. والكتاب الأسود (مصدر سابق)/١٧٨-١٨٣. و دراسات حول القضية الكوردية ومستقبل العراق دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، ط٢/ ٢٠٠٤/٨٠.

٢٥ ينظر: ينظر: عالم الكرد المرعب، تحقيق و تأليف الحاكم طه بابان، الكتاب الأول، ط٢، حكومة إقليم كوردستان، وزارة الثقافة ، المديرية العامة للطباعة و النشر ، التسلسل (٤٢) ط٢، ٢٠٠٢، ٥١١-٥٢٤، بالتفصيل يثبت أسماء الضحايا والمعتقلين من خلال وثائق أجهزة النظام في حلبجة. وينظر: الكتاب الأسود (مصدر سابق)/ ١٩٣-١٩٤ و الشعب الكوردي والسياسات الدولية (مصدر سابق) / ١٤٧-١٤٨.

٢٦ ينظر: عالم الكرد المرعب، (مصدر سابق)، ٢٠٠٢، ٤٠٤-٤٠٦، احصى الكاتب كل القرى والمناطق التي استعمل فيها الجيش العراقي الأسلحة الكيماوية. وينظر صفحات /٤٣٩- ٤٥٤. وينظر: قرار محكمة الأنفال (مصدر سابق)/١٦٩-٢١١.

٢٧خولانةوة لة ناو بازنةدا، ديوي ناوةوةي روداوةكاني كوردستاني عيراق ١٩٤-١٩٨٨، نةوشيروان مستةفا، ضاثةمةني خاك، ض ٢، ١٩٩٩/١٢٣

٢٨ الشعب الكوردي والسياسات الدولية (مصدر سابف)/١٥٣-١٥٦.

٢٩ للتفاصيل ينظر: فاجعة حلبجة (كارةساتي كيمياباراني هةلةبجة) باللغة الكوردية، شوكت حاج مشير، ط١، ١٩٩٨، الكاتب أشرف على عملية تحرير مدينة حلبجة و شاهد جميع أحداثها المرعبة. وينظر: (رةشةباي زةهر و ئةنفال) باللغة الكوردية، عبدالله كريم محمود، حكومة إقليم كوردستان، وزارة الثقافة، مديرية الطبع و النشر، ط ١، ٢٠٠٢. الكتاب عبارة عن مجلدين ضخمين يتجاوز ١٥٠٠ صفحة، يتحدث عن قصف مدينة حلبجة وعمليات الأنفال بالتفصيل،باعتماد مئات الصور و الوثائق العائدة لنظام البعث. موقع الجزيرة، مقال بعنوان : في الذكرى الـ٣٣ للفاجعة.. تعرف على القصة الكاملة لقصف حلبجة بالأسلحة الكيميائية، صلاح حسن بابان، بتاريخ : ٢٠٢١/٣/١٧.

٣٠ أخرجه أحمد في مسنده باب : حديث رجل من أصحاب النبي □، ٤١/٥ رقم الحديث (٢٣٥٣٦) وشعب الإيمان للبيهقي، ٢٨٩/٤ ، رقم الحديث (٥١٣٧).

٣١أخرجه الترمذي ، باب فضل الشام واليمن، ٧٣٤/٥ رقم الحديث(٣٩٥٥) و حسنه الألباني.

٣٢ الجمع بين الصحيحين، محمد بن فتوح الحميدي، ٢٥٦/٢ -(١٥٦٢) و السنن الكبرى للنسائي ٤٩٢/٦ - (١١٥٩٨)

٣٣ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة الإيمان، مصر، ط١، ١٩٩٥، ١١٠/٣-١١٣.

٣٤ أخرجه مسلم، باب كراهية تمنى لقاء العدو، ١٤٣/٥ رقم الحديث: (٤٦٤٠).

٣٥أخرجه أحمد، مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب ١١٥/٢ رقم الحديث (٥٩٥٩).

٣٦ فتح الباري ابن حجر العسقلاني، دار الطباعة بيروت، ط٢، ١٠٣/٦.

٣٧السنن الكبرى للبيهقي، باب ترك قتل من لا قتال فيه: ٩٠/٩ رقم الحديث (١٨٦١٧). وينظر: البخاري كتاب الجهاد، باب قتل الصبيان... وباب قتل النساء في الحرب". ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب).

٣٨أخرجه الطبراني في المعجم الصغير باب من اسمه الحسين، ٢٥٠/١ رقم الحديث (٤٠٩).

٣٩آثار الحرب في الفقه الإسلامي د.وهبة الزحيلي/٣٠٠-٣٠٩

٤٠المصدر نفسه/٤٥٣

٤١أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٣٨/٧ رقم الحديث (٣٧٧٩٠) وعبد الرزاق في الجامع والبيهقي في السنن وأبو عبيد في الأموال و ابن بطال القرطبي في شرح صحيح البخاري ٢٠٥/٥.

٤٢ مجمع الزوائد للهيثمي، باب وصية الأمير في السفر ٤٦٥/٥ (٩٣١٢) والسيوطي في الفتح الكبير ١٩٢/١ (٥٣٢٠)
٤٣ ينظر: كتاب الأم ، الإمام الشافعي ٣٠٣/١ . وآثار الحرب ٢٥٥ وما بعدها.
٤٤أخرجه أحمد في مسنده، ٦٢/٥ (٢٠٦٣٨) وحسنه الترمذي وأخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان بألفاظهم.
٤٥ينظر: استخدام أسلحة الدمار الشامل في الفقه الإسلامي، د.أحمد محمد لطيف. بلا تاريخ.
٤٦ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة نفل ، ٤٥٠٩/٦.
٤٧ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت : سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢، ١٩٩٩م. ٩/٤.
٤٨ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، بيروت، بلا ت ١٦٠/٩.

Genocide against the Kurdsh of Iraq in the light of the Islamic religion

Genocide is what the Kurdish people in Southern Kurdistan (Kurdistan - Iraq) have been subjected to from forced displacement and mass killing of civilians, Anfal operations, and the bombing of cities and villages with chemical weapons and their destruction at the hands of the Iraqi Baathist regime in the eighties of the twentieth century.

These crimes are genocide organized by the state, so they must be documented, then submitted to international courts, and the perpetrators should be prosecuted, even in absentia, and the victims should be compensated according to the law and Islamic Sharia.

Islamic Sharia prevents the occurrence of these crimes against humans, through the sanctification of life, the prohibition of killing and the honoring of human beings regardless of their nationality and religion, and the criminalization of cutting trees, destroying wells, demolishing homes and killing civilians, women, the elderly and children. Compensating the victim, an individual or a group, by the offender, was a government, faction, or their inheritors, which is the current Iraqi government.